

العدوان على لبنان: الأهداف، النتائج

عند كتابة هذه الافتتاحية كانت الحرب الصهيونية على لبنان قد دخلت أسبوعها الثالث، فبرزت جملة حقائق، يتصل بعضها بالوضع الداخلي وبعضها بالوضع العربي والإقليمي والدولي، بل يتصل بعضها الآخر بشكل خاص بطبيعة المواجهة ذاتها وأساليبها وتكتيكاتها ودروسها المستقبلية.

وإذا كان اللبنانيون بقواهم وقياداتهم وتياراتهم المختلفة قد اختاروا تأجيل النقاش في أسباب هذه الحرب والمسؤوليات المتعددة المترتبة عليها، فإننا سنؤجل الخوض في غمار هذا النقاش، وسنفرز له المجال واسعاً مستقبلاً، ولا سيما في ضوء النتائج الميدانية لهذه الحرب والتي ستتوقّف عليها طبعاً الوجهة التي سيتخذها النقاش داخل لبنان نفسه.

أما الحقائق الأخرى التي يمكننا استخلاصها من هذه الحرب، ودراستها بشكل مكثف ومععمق، ومتابعة تداعياتها على غير صعيد فهي:

أولاً: إن هذه الحرب العدوانية على لبنان ومقاومته الباسلة تأتي في إطار مشروع أمريكي - إسرائيلي متكامل ينفذ حلقاته في المنطقة وينتقل من بلد إلى آخر.

ولقد جاءت تصريحات وزيرة الخارجية الأمريكية كوندوليزا رايس حول آلام مخاض ولادة «الشرق الأوسط الجديد» لتكشف بوضوح أن حرب الصهاينة في لبنان هي جزء من رؤية متكاملة وبعيدة الأمد للإدارة الأمريكية ولنظريتها الجدد الذين يحاولون الهرب من تعثر إلى آخر، ومن حرب مرتبكة إلى حرب مرتبكة أخرى، بل إن الحرب الإسرائيلية على لبنان ترتبط إلى درجة كبيرة بتعثر المشروع الأمريكي

الأصلي في العراق والسعي إلى تغطية الفشل الأمريكي المريع هناك.

ثانياً في ضوء هذه الرؤية يمكن رؤية مجموعة أطراف عربية وإقليمية ودولية مشاركة في هذه الحرب، فقد تولى البعض التهيئة السياسية والإعلامية لهذه الحرب، والبعض التغطية الضرورية لها، فيما هيأ البعض الثالث نفسه لقطف ثمارها.

لم يكن من السهل لحكومة تل أبيب أن تندفع في حربها العدوانية لولا أنها كانت مطمئنة إلى مواقف بعض الأطراف العربية التي أطلق مسؤولوها منذ فترة جملة تصريحات ترمي في النهاية إلى التركيز على «مذهبية» المقاومة اللبنانية ومحاولة ربطها بمشاريع «مذهبية» على مستوى إقليمي غير مستقل دون شك عن مجريات الأمور في غير ساحة عربية ولا سيما في العراق.

ومن المفارقات التي ينبغي التوقف أمامها هو أن الأنظمة ذاتها التي تواطأت مع الإدارة الأمريكية لاحتلال العراق هي ذاتها التي تتواطأ اليوم مع الحرب الصهيونية ضد لبنان.

ثالثاً: إن «الشرق الأوسط الجديد» الذي وعدت رايس بولادته من خلال الحرب على لبنان، هو الامتداد الطبيعي لمشروع الشرق الأوسط الكبير الذي أعلنه بوش بعد احتلال العراق، مثلما كان مشروع بوش امتداداً «للشرق الأوسط الجديد» الذي بشر به شمعون بيريز بعد الحرب الأمريكية الأولى على العراق في أوائل التسعينيات والتداعيات التي أطلقها من خلال مؤتمر مدريد وما تلاه من اتفاقات منفردة مع العدو الصهيوني.

غير أنه من الواضح، أن الفارق بين فكرة رايس ومشروع بوش، هو أن هذه الفكرة تنازلت عن مطالب الإصلاح والتحديث والديمقراطية التي غلّف بها بوش مشروعه القديم قبل سنوات، خصوصاً أن بعض أطراف الشرق الأوسط الجديد، الذي تسعى رايس إلى صياغته في اجتماع روما، هم من الأنظمة التي حاول مشروع بوش الأصلي ابتزازها من خلال الحديث عن التغيير والإصلاح والديمقراطية، فهل نحن أمام صفقة تخضع فيها هذه الأنظمة لإملاءات بوش وسياسة أولمرت في لبنان وفلسطين مقابل رفع سيف الابتزاز الأمريكي عنها؟

رابعاً: لقد طرحت الحرب الصهيونية الجديدة بوضوح إشكالية العلاقة بين واشنطن وتل أبيب، فبدأت تخترق الأوساط السياسية والإعلامية داخل الولايات المتحدة والكيان الصهيوني أسئلة: مَنْ يخدم مَنْ في هذه الحرب؟ فبعض الأمريكيين يرى أن العدوان الصهيوني على لبنان، وهو العدوان المدعوم أمريكياً، سيزيد من تشويه صورة بلادهم في العالم عموماً، وفي البلاد العربية والإسلامية خصوصاً، وبالمقابل نجد

إسرائيليين من مستويات مختلفة يصرخون علناً: إلى متى ندفع من دماء أبنائنا ومن أمن بلدنا لصالح المشروع الأمريكي.

خامساً: لقد أظهرت هذه الحرب مقدرة عسكرية وسياسية وإعلامية متميزة لحزب الله والمقاومة اللبنانية، فمن النجاح في تنفيذ عملية (الوعد الصادق)، وأسر الجنديين الصهيونيين، إلى إصابة البارجة العسكرية الصهيونية المتطورة جداً، إلى وصول القصف الصاروخي للمقاومة اللبنانية إلى العمق الصهيوني، إلى اعتماد التكتيك العسكري والسياسي المتدرج، إلى اعتماد أسلوب حرب العصابات بارقي أشكالها، وسط خطاب سياسي وإعلامي هادئ بعيد عن المبالغات، دقيق في تعابيره، صادق في وعوده منفتح في توجهاته، صلب في ثوابته، يمكن لأي مراقب أن يلحظ تطوراً كبيراً في أسلوب المواجهة العربية مع العدو الصهيوني لم يعهده من قبل.

لقد كشفت هذه الحرب الصهيونية على لبنان كيف أن منظمة شعبية للمقاومة كحزب الله نجحت في هذه المواجهة مع أعنى قوة إقليمية مدججة بأكبر ترسانة عسكرية ومدعومة من الولايات المتحدة الأمريكية والدول الغربية، فكيف إذا عمت هذه المواجهة دولاً عربية وإسلامية، وإذا انفتحت الحدود العربية كلها أمام مقاومة المحتل الصهيوني.

لقد أسقطت المقاومة اللبنانية، وقبلها المقاومة العراقية والمقاومة الفلسطينية، منطق العجز والتخاذل والتذرع بفارق القوة بين العرب وأعدائهم لاعتماد سياسات استسلامية، وعززت بالتالي فكرة المقاومة على مستوى الأمة.

سادساً: لقد جاءت هذه المواجهة المفتوحة في لبنان لتشكل الدعم العربي الشعبي الملموس والجدي للشعب الفلسطيني المحاصر، والذي يدفع كل يوم أبهظ الأثمان على يد العدو الصهيوني، وفي حين تقاعست الأنظمة والحكومات عن نجدة شعب فلسطين جاءت المعركة في لبنان لتخفف من معاناة الفلسطينيين وحصارهم.

سابعاً: لقد كشفت التحركات الشعبية العربية والإسلامية والعالمية المساندة للشعبين اللبناني والفلسطيني ومقاومتهما عن عمق الوحدة على مستوى الأمة في القضايا المصرية، كما أكدت تفاعل أحرار العالم مع قضايانا العادلة، وهو أمر ينبغي التأسيس عليه من أجل بناء حركة شعبية عربية متقدمة لمواجهة التحديات، كما من أجل تطوير وتعزيز جسور التواصل بين حركات التحرر العربية وحركات التحرر والتقدم في العالم، ولا سيما عبر تطوير خطابنا الفكري والسياسي لكي يكون قادراً على جذب الرأي العام العالمي الذي يشهد تحولاً لم يشهده من قبل ضد العدوان الصهيوني.

ثامناً: إن التحركات الشعبية الواسعة التي شهدتها العراق دعماً للشعب اللبناني ومقاومته، والمواقف التي أعلنتها مرجعيات وقيادات وتيارات وأحزاب ضد العدوان، يمكن لها أن تسهم في إيجاد مناخ جديد داخل العراق من أجل مواجهة مشروع الفتنة الذي يخطط له الاحتلال منذ زمن والذي تعمل أدواته على اذكائه كل يوم بالعمليات الإجرامية والمجازر الطائفية والمذهبية.

وكما إن الالتفاف العراقي حول المقاومة في لبنان يمكن أن يشكل إطاراً لتنفيس الكثير من الاحتقانات الطائفية والمذهبية، فإن الإجماع اللبناني على دعم المقاومة العراقية وتجاوز العديد من الحساسيات والجراح الماضية، من شأنه أن يساعد في تحقيق استراتيجية توحيد الجهد المقاوم الممتد من العراق إلى فلسطين.

تاسعاً: لقد أعادت هذه المواجهة في لبنان وفلسطين قضايا المنطقة إلى الواجهة من جديد على المستويات العالمية والإقليمية وبالتالي أكدت عقم المحاولات الرامية إلى تجاهل حقوق امتنا في كل اقطارها ولا سيما في فلسطين والعراق، وما الحديث الأمريكي عن الحاجة إلى «حلول جذرية» لمشاكل المنطقة إلا اقراراً صريحاً بأن هناك مشاكل عميقة تنتظر حلاً على رغم أن الحلول الأمريكية عادة ما تتحول إلى مشاكل جديدة في هذه المنطقة.

عاشراً: لقد كشفت هذه المواجهة عن أمرين بالغَي الأهمية في لبنان أولهما عمق التضامن الوطني على المستوى الشعبي، وهو ما تجلّى في الاحتضان اللبناني العام وغير المسبوق لمئات الآلاف من المواطنين الذين اضطرتهم ظروف المعركة إلى مغادرة منازلهم وقراهم وبلداتهم، وثانيهما عمق ثقافة المقاومة لدى قطاعات واسعة من أبناء الشعب اللبناني، ولا سيما في الجنوب، فهؤلاء اللبنانيون على رغم جراحهم النازفة وخسائرهم الفادحة ازداد تعلقهم بخيار المقاومة ونهج الصمود على نحو أذهل الكثيرين.

وإذا كان تهديد المقاومة بنقل المعركة إلى مرحلة «ما بعد حيفا» و«ما بعد ما بعد حيفا»، قد فتح الأبواب أمام كل الاحتمالات بما فيها توسيع الحرب ذاتها لتشمل أقطاراً جديدة وساحات جديدة، فإن المفتاح الرئيسي لوقف العدوان يبقى في يد الأمة العربية والإسلامية القادرة بثقلها السياسي والاستراتيجي والاقتصادي أن تمارس الضغط الفعال على واشنطن وتل أبيب في هذا الاتجاه.

وسواء اتجهت الأمور نحو التصعيد العسكري وتوسيع نطاق المواجهة، ام اتجهت نحو الهدنة، فالمطلوب صياغة برنامج عربي جديد يخرج الأمة كلها من حال الانتظار والترقب الممزوج بدرجة عالية من التخاذل والتواطؤ على مستوى الحكام، ويعلن كما

أعلن الأمين العام لجامعة الدول العربية عن سقوط «العملية السياسية» أو ما يسمى «بعملية السلام»، وبدء الإعداد لمرحلة المواجهة الشاملة حيث تجتمع الأمة بكل مواقعها الرسمية والشعبية، حول مقاومتها في فلسطين والعراق ولبنان وحول مواقع الممانعة في المنطقة، انطلاقاً من وحدة المعركة، ووحدة العدو، ووحدة المصير، ووحدة المقاومة، وتجاوزاً لكل أسباب الفرقة وحساسيات الماضي وجراحات المراحل السابقة □

المستقبل العربي

صدر حديثاً عن المنظمة العربية للترجمة

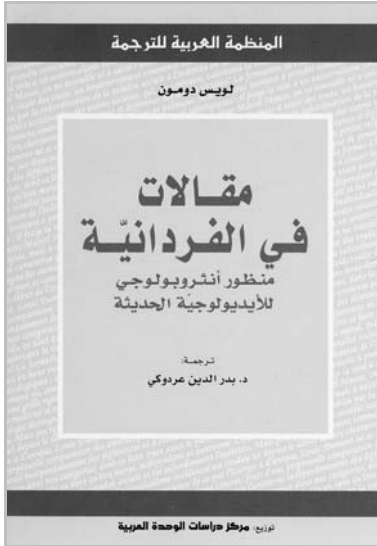
مقالات في الفردانية

منظور أنثروبولوجي

للأيديولوجية الحديثة

لويس دومون

ترجمة: د. بدر الدين عرودي



من خصائص الأيديولوجية الحديثة أنها تُخضع الكلية الاجتماعية للفرد، باعتباره كائناً "معنوياً" مستقلاً بذاته. هذه الأيديولوجية تميّز بين المجتمعات الغربية والمجتمعات الأخرى التي تعطي قيمة للكلية الاجتماعية وتُخضع الفرد لها.

لكن كيف ولماذا اختلف الغربيون عن الآخرين؟

في هذا الكتاب تحليل عميق لتشكّل الفردانية الغربية ولصيرورتها الدينية والسياسية، منذ بدايات العصر المسيحي إلى اليوم. وهو، مع حرصه على التوعية بما للغرب من فائدة، لا يكتفي بالتفكير في الاختلافات الأيديولوجية، وإنما يرسم مساراتٍ ذكيّةً نحو كونيةٍ ملموسة هي حصيلة مقارنةٍ مستمرةٍ بين الأشكال المختلفة للإنسانية.

٣٩٠ صفحة

الثمن: ١٢ دولاراً

أو ما يعادلها